نظرة المستشرقين تجاه الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب

م. د. حارث علي عبدالله

الكلية التربوية المفتوحة

Orientalists' view of the Islamic conquests of the Maghreb

M. Dr. Harith Ali Abdullah
Open Educational College

Abstract

This study dealt with the orientalists' view of the Islamic conquests of the Maghreb, as these Islamic conquests were the focus of the attention of the whole world, especially the Orientalists who found a fatty material to express their opinions and self-ideas, nominally and it related to the Islamic religion and its attempt to spread it in all countries of the world. These campaigns are the true image of Orientalists, myopia and their bad intentions towards Islam.

Keywords: Morocco, Orientalists, Islamic conquests, economic, political

الملخص:

تناولت في هذه الدراسة وجهة نظر المستشرقين عن الفتوحات الإسلامية للمغرب العربي، إذ كانت هذه الفتوحات الإسلامية محط أنظار العالم أجمع، ولاسيما المستشرقين الذين وجدوا فيها مادة دسمة للتعبير عن آراؤهم وأفكارهم الذاتية، لاسيما وانها تتعلق بالدين الاسلامي ومحاولة نشره في بلدان العالم أجمع، إذ كشف هذه الحملات الصورة الحقيقية للمستشرقين، وقصر النظر ونواياهم السيئة تجاه الإسلام.

الكلمات المفتاحية: المغرب، المستشرقين، الفتوحات الاسلامية، اقتصادي، سياسي.

المقدمــة

تناول هذا البحث نظرة المستشرقين تجاه الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب، حيث كانت الفتوحات الاسلامية مثلا حياً لقصر نظر المستشرقين وسوء قصدهم حيال الاسلام، والطعن فيه بأشكالاً وطرقاً متنوعة، وكذلك الطعن بتلك الفتوحات الاسلامية لهذه البلاد، والتي استمرت لفترة طويلة بلغت سبعين عاماً (20-90هـ/641-708م)، وبعد اتمام عمليات الفتح شرع العرب المسلمون في نشر الدين الاسلامي في جميع انجاء بلاد المغرب، وليس كما فنده اغلب المستشرقين الذين عادة يجتمعون على أن أسباب فتح هذه البلاد كانت لدوافع اقتصادية من أجل الحصول على الغنائم والسبي، إضافة إلى أسباب اخرى منها دينية وسياسية توسعية من أجل السيطرة على تلك البلاد.

وقد أثبتت الدراسات التاريخية ومن خلال العديد من المصادر العربية التي تناولت تلك الأحداث التاريخية، ان عمليات فتح العرب المسلمين لبلاد المغرب لم تكن غزواً وأنها فتحاً، كان له أبعاده وآثار حضارية انعكست على مختلف النواحي السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية، وهذا البحث هو محاولة جادة لبيان الفكر الاستشراقي الذي يعكس نظرتهم وموقفهم فيما يتعلق تجاه تلك الفتوحات الاسلامية الخاصة ببلاد المغرب.

الاستشراق لغة واصطلاحاً:

الاستشراق لغة:

عند البحث في معاجم اللغة فإننا لا نجد مفردة (استشراق) وإنما نجد مفردة المشرق، وهي مأخوذة ومشتقة من كلمة الشرق وهي جهة شروق الشمس[608]، والسين في كلمة الاستشراق تدل على طلب دراسة ما في الشرق [609].

---

[608] ابن منظور، محمد بن كرم، لسان العرب، ط3، دار احياء التراث ، (بيروت- د.ت)، ج7، ص95؛ الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، الدار النموذجية، (بيروت- 1999)، ص336.

[609] كجك، بسام، التراث الاسلامي والاستشراق ، مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، ليبيا، العدد7، سنة 1990، ص162.

الاستشراق اصطلاحاً:

هو العلم الذي يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعاتهم وأوضاعهم السياسية والاقتصادية وماضيهم وحاضرهم[610].

وقد تعرضت لفظة الشرق في أعقاب الفتوحات الاسلامية لتغير آخر في معناها فشملت مصر وبلدان شمال افريقيا، ويشمل الاستشراق شمال افريقيا الذي يسمى بالمغرب وان كان اسمه، أي الاستشراق مختصاً بالبلدان الشرقية دون غيرها[611].

نشأة الاسشتراق:

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق وفي تحديد سنة أو فترة معينة لنشأة الاستـشراق، فمنهم من يقول بأن نشأة الاستشراق تعود إلى القرون الميلادية الأولى[612].

وهناك من يرى بأن الاستشراق يعود إلى غزوة مؤتة التي قامت بين المسلمين والروم سنة (8هـ/629م)[613]، وقسم آخر أرجعه لزمن الرهبان الذين قصدوا الاندلس إبان ازدهارها ونهضتها العلمية [614]، بينما نسبه آخرون إلى سنوات دخول المسلمين إلى الاندلس، ان لم يكن في آواخر قرون تواجد المسلمين بالأندلس فتواجد المسلمين بأرض الاندلس كان نحو سبعة قرون (92-897هـ/711-1492م) هذه الفترة جعلت الاحتكاك بين مجتمعين هي بداية لتأسيس الاستشراق [615].

تعددت الآراء حول أول نشأة للاستشراق، إذ أراد البعض تحديد الاستشراق تحديداً علمياً فقد رأوا أنه يعود إلى(712هـ/1312 م) عندما عقد مؤتمر (فيينا) الكنسي، وطلب من الحاضرين ضرورة إنشاء كراسي لدراسة اللغات:العربية، والعبرية، واليونانيـة، والسريانية في جامعات أوربا الرئيسية واشهرها: باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وسلامنكا، ومن ثم العمل على إنشاءه في جامعة خامسة في المقر البابوي، تبعه عقد مؤتمرات عدة، اولها في باريس سنة 1873 وتبعته مؤتمرات أخرى, وقد حضر المؤتمر عدد من علماء العرب، ووقد رأى هذا الرأي كثير من الذين كتبوا عن نشأة الاستشراق[616].

ونجد صعوبة في تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، فقد ذكر أيضاً ان مصطلح الاستشراق ظهر واستخدم لأول مرة في عام 1769م، عبر قاموس اكسفورد للغة الانجليزية، ثم أدرج في قاموس الاكاديمية الفرنسية عام 1838م، فبدأ يطلق هذا المصطلح عند المجتمع الغربي على كل فروع العلم التي تهتم بدراسة الشعوب الشرقية من جميع جوانبها بما لها من ديانات ولغات وعلوم وآداب وغـيرها[617].

وقد أشار المستشرق مكسيم رودنسن (Maxime Rodinson) [618] إلى ان مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام 1799، بينما ظهر في اللغة الانجليزية عام 1838، وان الاستشراق انما ظهر للحاجة إلى ايجاد فرع متخصص من فروع

---

[610] محمد شامة، عقائد وتيارات فكرية معاصرة، ط1، دار قطري بن الفجاة للنشر والتوزيع ، (الدوحة- 1993)، ص157؛ ناجي ، عبد الجبار، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، دار الجاحظ، (بغداد-1980)، ص23.

[611] باريت، رودي، الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الالمانية، ترجمة: مصطفى ماهر، (القاهرة- 1997)، ص11.

[612] جبر، محمد توفيق، صور الفتوحات الاسلامية في صدر الإسلام عند المستشرقين الغربيين (1-132هـ/622-750م)، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية بغزة، كلية الآداب، 2018، ص11.

[613] ريوقي، عبد الحليم، ماهية الاستشراق (النشأة- المناهج والاهداف- الاصناف والوسائل)، مجلة الانسان والمجتمع ، العدد 2، 2011، ص81.

[614] فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الاسلامي، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، (عمان- 1998)، ص207.

[615] إدوارد سعيد، الاستشراق، ص37.

[616] ريـوقي، ماهيـة الاستشـراق، ص82؛ النملـة ، علـي ابـراهيم، الاستشـراق فـي الأدبيـات العربيـة مركـز الملـك فيصـل للبحـوث والدراسـات الإسـلامية، الرياض، ص32.

[617] الرسوقي، محمد، الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، (المنصورة- 1995)، ص41.

[618] مكسيم رودنسون : (1915 – 2004) مستشرق فرنسي ، مؤرخ وعالم اجتماع أهتم بالدراسات الشرقية ، عمل مدير مدرسة الدراسات العليا بباريس ، ركز في أبحاثه على الجانب الاقتصادي في الإسلام وله كتاب (جاذبية الإسلام) ؛ العقيقي ، المستشرقون ، ج1، ص359 .

المعرفة لدراسة الشرق، ويضيف بأن الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام على انشاء المجلات والجمعيات والاقسام العلمية[619].

دوافع الاستشراق:

1- الدافع الديني:

يعد الدافع الديني أهم الدوافع وأولها على الاطلاق، حيث ان رجال الدين النصارى حين شهدوا أن الإسلام اكتسح المناطق التي كانوا يسيطرون عليها، والتي كانت ديانتهم السائدة فيها، وكان هذا الاقبال على الاسلام لا لسماحته فحسب، ولكن لأنه بعيد عن الطلاسم والتعقيدات النصرانية، فكان لابد أن يقفوا بوجه الاسلام لمنع انتشاره [620].

فالدافع الديني هو السبب الرئيسي الذي دعا الاوربيين إلى الاستشراق، كما أن الدوافع الدينية حملت في طياتها أهداف وغايات مختلفة، وعلى الرغم من ذلك ظل جانبها الرئيسي عبر العصور واحد الا هو مواجهة الاسلام والهجوم عليه [621].

2- الدافع الاستعماري:

كان للدافع الاستعماري دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الاوربية إلى الشرق وخصوصاً بعد منتصف القرن التاسع عشر وقد استفاد الاستعمار من التراث الاستشراقي هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فقد كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها في تعزيز مواقف الاستشراق وفي مضمونه، وقد تمكن الاستعمار ان يجند طائفة من المستشرقين لخدمة اغراضه وتحقيق في بلاد المسلمين وهكذا نشأة رابطة رسمية وثيقة بين الاستعمار والاستشراق انساق اليها عددا كم المستشرقين من الذين ارتضوا ان يكون عملهم وسيلة لإذلال المسلمين واضعاف شأن الإسلام وقيمته[622]، وأصبح الاستشراق ملازماً للاستعمار أينما حل، وتوسع مجاله ونطاقه بتوسع احتلاله واغتصابه لحقوق الشعوب عامة والمسلمين خاصة[623].

3- الدافع الاقتصادي:

وهو من الدوافع التي ساعدت على تنشيط حركة الاستشراق وهي ان الدول الغربية بعد ان تعرفت على المنطقة الإسلامية وتعرفت على ثرواتها وخيراتها، ارادت ان تفتح مع هذه المنطقة صفحة اخرى أو علاقة اخرى من العلاقات التي تروي اقتصادهم وتدعم مصانعهم وشركاتهم، ومن ثم تسهل عليهم حركة التطور العلمي والتقني، وذلك بالاتصال المباشر مع العالم الاسلامي اقتصاديا، باستيراد ما تفتقر اليه من المواد الخام الطبيعية وبأسعار زهيدة وبخسة ويصدرونها لهم بعد تصنيعها بأبخس الاثمان[624].

4- الدافع العلمي:

اهتم المستشرقين الغربيين بدراسة العلوم العربية والإسلامية بدفعهم في ذلك المعرفة الخالصة للشرق ولاسيما التاريخ العربي الاسلامي للاطلاع على ثقافة هذه الامة وحضارتها وقد اتخذوا من الاستشراق علما قائماً بذاته[625]، ولكن كان هؤلاء فئة قليلة فلم يشكل هؤلاء خطر على الإسلام لانهم لم يكونوا يعتمدون الدس والتحريف، فجاءت ابحاثهم اقرب إلى الحق والمنهج السليم من ابحاث غالبية المستشرقين، وما واقعوا فيه من أخطاء فكان بسبب جهلهم باللغة العربية وتأثيرهم بالمفاهيم الغربية، ولم يكن خطأ

---

[619] مكسيم رودنسن، الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية في تراث الاسلام ، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت-1978)، القسم الاول، ص27-101.

[620] اصف حسين، المسار الفكري للاستشراق، ترجمة: مازن مطباقي، مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، العدد 7، 1413هـ، ص566-592.

[621] سعود، نايف بن ثنيان بن محمد، المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، دار امية، (الرياض- 1414هـ)، ص36- 37.

[622] الموسوي، محسن، الاستشراق في الفكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص27- 30.

[623] غراب، احمد عبد الحميد، رؤية اسلامية للاستشراق ، دار الاصالة للثقافة والنشر والاعلام، (الرياض- 1988)، ص53.

[624] السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، نشر دار البيان، (الكويت- 1968)، ص19.

[625] العليان، الاستشراق بين الانصاف والاجحاف، (بيروت- 2002)، ص8- 30.

متعمداً منهم، وقد اهتدى بعض هؤلاء إلى الاسلام مثل المستشرق الفرنسي دينيه (Etienne Dint) الذي اسلم وغير اسمه إلى (ناصر الدين دينية) وله كتاب (أشعة خاصة بنور الاسلام)، الذي بين فيه حقد الغرب وتعاملهم على الرسول محمد (ﷺ)، وكذلك (زغريد هونكة) صاحب كتاب (شمس الله تسطع على الغرب) وغيرهم ، وامثال هؤلاء لم ينالوا رضا رجال الدين والسياسة، ولم يحصوا على دعماً مادياً فقل عددهم [626].

5- الدافع السياسي:

بعد استقلال اكثر الدول العربية والاسلامية، قامت الدول الغربية بفتح سفارات لها في هذه الدول، ولديها سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف على افكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال اثره الخطير، حيث كان السفراء الغربيون ولا يزالون في بعض الدول العربية والإسلامية يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الاسلامية بحجة توجيه النصح واسداء المعونة بعد ان درسوا تماماً نفسية كثير من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارها[627].

ادعاءات المستشرقين تجاه الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب:

1-دعوى المسشترقين حول أسباب فتح بلاد المغرب:

استغرق الفتح الاسلامي لبلاد المغرب مدة طويلة تكاد تقترب السبعين عام (20-90هـ/641-708م)، وكانت هنالك أسباب عديدة دفعت المسلمين على تحرير بلاد المغرب، ومن أهمها دافع الجهاد الذي كان يهدف إلى نشر الدين الاسلامي، وكذلك ان وجود الروم في هذا الجزء من افريقيا كان يضايق العرب في الناحية الغربية، وارادوا تطويق القسطنطينية، وتصفية الامبراطورية البيزنطية المعادية للإسلام، وكذلك تامين حدود مصر الغربية من خطر الروم وغيرها من الاسباب.

أما المستشرقين فانهم ادعوا الكثير من الأسباب التي دفعت العرب المسلمين لفتح بلاد المغرب وقاموا في شرحها وتحليلها بدون الاستناد إلى المصادر التاريخية الصحيحة ومنها على سبيل المثال:

يذكر لنا المستشرق كوديل (Caudel) أن " **هناك تعليمة يسمعها العربي باذان صاغية، ويشعر أنه على استعداد تام لاتباعها وهي تلك التي تأمر بالحرب المقدسة، والجهاد، فتعاليم الشريعة القرآنية الاخرى مطاعة ولاشك، دون همس، لكن هذه التعليمة تنفذ بحماس، وبإمكان المسلم أحياناً مناقشة صيغ آيات الكتاب الاخرى لكن التي تتحدث عن الجهاد تستغني عن التعليق، ويقضي الجهاد: الهجوم على ارض الكفار في دار الحرب، لمطاردة جيوشهم النظامية الخاضعة لسلطة امير المؤمنين، فالعقيدة الاسلامية عموماً يمكنها ارضاء طموحات الجنس العربي، وهي تعكس ولاشك في ذلك، طريقة تفكيره... ومفهوم الجهاد اشبع اكثر رغبة لتوسع الجامحة وهوس الماثر، ... فلولا الجهاد الذي اعطى متنفساً كبير لهيجان حروب اتباع العقيدة الجديدة لالتهم الاسلام في صراعات داخلية دون أن تصلنا أخبارها، وقد اكتسح اتباع محمد العالم بعد موته بقليل، عبر طرق ثلاثة سطرتها لهم الطبيعة فقصدوا ثلاثة اتجاهات مختلفة، ومنها مصر، فلما وصلوا فكرو في اقصى الغرب**" [628].

إن ما طرحه كوديل من آراء غير صحيحة وهدفها الطعن بالعقيدة الاسلامية، والتشكيك بالدعوة الاسلامية التي جاء بها النبي محمد (ﷺ)، وانه قام بنشر هذا الاسلام بالسيف والاكراه، وكذلك طعن وتشويه صورة الفتح الاسلامي لهذه البلاد، وحتى ذكر هذا المستشرق بالنص ان اتباع العقيدة الجديدة الذي يقصد بهم المسلمين، دخلوا بسبب هذا الاسلام في صراعات داخلية لم تصلنا

---

[626] الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، اجنحة المكر الثلاثة وخوافيرها (التبشير – الاستشراق- الاستعمار)، ط8، دار القلم، (دمشق- 2000)، ص131- 133.

[627] الميداني، اجنحة المكر الثلاثة، ص131.

[628] عميرة، محمد، الفتح الاسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، الدار الوطنية للكتاب، (الجزائر- د.ت)، ص13.

اخبارها، اذ لم يستطع الوصول إلى هذه الاخبار من خلال المصادر التاريخية الصحيحة، فكيف توصل إلى هذه الآراء والطروحات التي تم ذكرها، فأذن هي غير صحيحة، وتم بناء هذه الآراء حسب رغباته وأغراضه الشخصية وأهوائه الحاقدة.

أما المستشرق جوليان شارل أندري (Julien ch.A) يرى أن من الاسباب التي دفعت العرب المسلمين لفتح بلاد المغرب هو قيام الاسرة الاموية واستقرار الخلافة بدمشق فقد " **تبنت الدولة الجديدة فكرة التوسع تجاه الغرب وأوكلت أمر مصر إلى الشيخ عمرو الذي لم يتخل عن مطامعه في غزو افريقيا** " [629].

نلاحظ ان المشرقين قد تواردت آراءهم التي تحمل في طياتها شبهات واضحة وغير صحيحة، ورداً على ما ذكره سوف نعتمد على كتب مستشرقيهم والرد من بطون هذه الكتب على افتراءاتهم الكاذبة، إذ ذكر المستشرق ديورانت (Durant) "**أن كل فتح يخلق حدوداً جديدة تتعرض للخطر فتوحي بفتح جديد، واراد المسلمين ان يحموا مصر الاسلامية من هجوم على جناحها الغربي من قيرين البيزنطية فزحفوا بجيش تبلغ عدته اربعين مقاتل مخترقين الصحراء إلى برقة...**" [630]، وبالفعل ان ما ذكره هذا المستشرق بخصوص دافع الفتح لبلاد المغرب صحيح، حيث إذ ما علمنا أن فتوحات بلاد المغرب هي جاءت تأميناً لفتوحات مصر بالأساس وان بقاء الروم في هذا الجزء من افريقيا كان يضايق وجود العرب لذا اندفعوا نحو هذه البلاد من أجل فتحها.

ومن المستشرقين الذين أيدوا آراء المستشرق جوليان حول دوافع فتح بلاد المغرب، والذي يعود إلى اسباب توسعية، قامت بها الدولة الاموية من اجل الهيمنة السياسية على هذه البلاد هو المستشرق هنري تراس (Henri Terrasse) ، فيقول "**أن قيام الاسرة الاموية واستقرار الخلافة بدمشق ادخل الاسلام الذي احتفظ بمركزه، حتى ذلك الحين ببلاد العرب في مدرسة بلاد الشام، فتسلم شيئاً فشيئاً، ارث العالم الاغريقي وتحولت الهيمنة التي كانت تنعم بها بلاد الشام، منذ قرون في العالم المتوسطي، إلى هيمنة سياسية، وكان الشاميون الذي دخلوا في خدمة الخلافة الجديدة يعرفون مسالك البحر الابيض المتوسط اذ كان تجارهم متواجدين قبل ذلك في الموانئ وفي كل المدن الكبرى للإمبراطورية الرومانية القديمة والاساطيل الشامية هي التي زودت الاسلام بقواته البحرية الاولى ومكنته في وقت قصير من السيطرة على البحر...** " [631].

ومن الاسباب الاخرى التي ذكرها المستشرقون هو كثرة الاشجار التي أذهلت غالبية المهاجرين القادمين من مصر، ومنطقة طرابلس، فيذكر المستشرق لاترابولتين (La Trpolitaine) " **ان اشجار الزيتون هي التي صنعت ثراء افريقيا الشمالية التي كانت قبل ذلك تزود روما والقسطنطينية بالزيت، والاسطورة هي عبرت عن ذلك مرة اخرى فعبدالله بن سعد بعدما انتصر على البطريق جرجير، رأى قطع النقود التي وضعت امامه اكواماً، سأل الافارقة : من اين لهم هذا الورق ؟ فجعل الرجل منهم يتلمس شيئاً في الارض، حتى جاء بنواة زيتون ، فقال من هذا اصبنا الاموال فقال له عبدالله كيف ذلك ؟ فأجابه الرجل: إن الروم لهم زيتون فكانوا يمتارونه من هنا** " [632].

أن ما ذكره المستشرق حول فتح العرب لبلاد المغرب هو كثرة اشجار الزيتون التي اذهلت العرب المسلمين غير صحيح، إذ يعبر عن رأيه بما تقوده عواطفه الدينية أو السياسية، لاسيما ان تلك الفتوحات كان هدفها الأول هو نشر الاسلام وهذا قد سبب حرجاً له مما دفعه ليروي ما يدور في ذهنه محاولاً إقناع أبناء جلدته، ويمكن الرد عليه فيما يخص هذا الجانب، إذ كانت حاجتهم لأشجار الزيتون لغرض الاستخدامات المتنوعة، وليس كونه احد الاسباب في فتح العرب للمغرب فهو غير منطقي، إذ أن وجود اشجار اخرى في مناطق بلاد المغرب بالفعل دفعت العرب المسلمين من اجل الحصول عليها لغايات اخرى، إذ أن الأمويين كانوا أصحاب معرفة واطلاع بأخبار بلاد المغرب (بلاد الروم والبيزنطيين) واصقاعها من خلال صلاتهم التجارية القديمة التي ورثوها

---

[629] جوليان، شارل اندري، تاريخ افريقيا الشمالية ، تعريب: محمد مزال، البشير بن سلامة، ط2، الدار التونسية للنشر، (تونس- 1978)، ج2، ص18.
[630] ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، (بيروت- د.ت)، ج13، ص264.
[631] عميرة، الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، ص8-9.
[632] عميرة، المصدر نفسه، ص11- 12.

من قيادتهم للرحلات القريشية الشتوية إلى جنوب وشمال افريقية، وكانت مدينة زوارة الواقعة ما بين ساحل طرابلس وتونس مليئة بغابات السرور والارز المستخدمة اشجارها في صناعة السفن، وقد اهتم الامويين ببناء الاسطول العربي ولاسيما بعد معركة ذات الصواري سنة 34هـ/654م، فاتجهت أنظارهم نحو السيطرة على هذه الغابات المليئة بأشجار السرور والارز من اجل استخدامها في صناعة السفن، وليس كما ادعى هذا المستشرق هو كثرة اشجار الزيتون [633].

2- دعوى ارتجالية الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب وعدم وجود خطة:

من خلال الاحداث التاريخية والنصوص تؤكد على وجود خطة ومراحل منظمة لفتح بلاد المغرب، وعدم الارتجال في تلك الفتوحات[634]، ولكن الكثير من المستشرقين تجاهل الاخبار الصحيحة الثابتة، واظهرت بعض الدراسات التي اجراها هؤلاء المستشرقون بهذا الموضوع تزييفاً للحقائق، وتشويها لصورة الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب على انها ارتجالية ومجرد غارات وغزوات ومغامرات عبثية شنها العرب المسلمين على تلك البلاد من اجل السيطرة عليها كما يدعون، بدون تنظيم ومشاريع مسبقة، ومن هؤلاء المستشرقين الذين تبنوا هذه الآراء في فرضياتهم هم:

المستشرق غوتييه (Gautier E.F.) [635]يطلق تسمية قرصنة (Course) على تلك الغارات أو الغزوات التي شنت على منطقتي برقة وطرابلس في بلاد المغرب سنتي (21-22هـ/641-642م) [636].

وذكر المستشرق بوفيل أي دبليو (Bovill E.W) ان فتح بلاد المغرب كان مجرد غزو غير منتظم قاده القائد عقبة بن نافع وتوهم بهذا الغزو بأنه فتحه لبلاد المغرب كان كاملاً " **وفي سنة 678 جدد العرب غزوهم لشمال افريقيا واكتسحوا البلاد طولا وعرضاً يقودهم عقبة بن نافع ووصلوا إلى المحيط الاطلنطي، حيث اندفع القائد المنتصر بحصانه إلى الامواج ليظهر ان فتحه للبلاد كان كامـــلاً...**"[637].

وفي رأي المستشرق جوليان شارل اندري (Julien ch.A) ان فتح بلاد المغرب كان مجرد مغامرة قام بها القائد عبدالله بن سعد ومجدتها كتب تاريخ العرب بأحداث عجيبة وخرافية طعناً منه بهذه الفتوحات " **غزوة ابن سعد: وضع عثمان خليفة عمر حد لهذا التردد سنة 644 وامر اخاه من الرضاع عبدالله بن سعد والي مصر بالدخول في المغامرة ولربما قام ابن سعد بمحاولة اولى سنة 645 أو سنة 646 غير ان النجاح كان حليفه سنة 647 في غزوته الكبيرة التي زخرفها كتاب التاريخ العرب بأحداث عجيبة أو خرافية** " [638].

وذكر المستشرق كوديل (Caudel M.) انه استخلص من روايات المصادر العربية عن حصار طرابلس انه كان طويلاً، وربما كان شاقاً على المسلمين الذي لم يستولوا على المدينة الا عن طريق الحظ السعيد [639]، وفي موضع اخر يذكر هذا المستشرق ان القائد عمر بن العاص على حد زعمه لم يكن لديه صورة منظمة عن فتوحات بلاد المغرب وانها فتوحات ارتجالية،

---

(633) رضا هادي، كريم عاتي، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس، ص18.

(634) الداودي، أبي جعفر احمد بن نصر ، كتاب الاموال، تحقيق: رضا محمد سالم شحادة، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت- 2008)، ص79؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة ، (بيروت- 1983)، ص18؛ احمد، نهلة شهاب ، تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، (عمان- 2010)، ص39.

(635) مستشرق فرنسي، ولد في مدينة سطين في القسطنطينية سنة 1862، درس في الجزائر وحصل على الثانوية سنة 1880، حصل على الدكتوراه سنة 1901 من جامعة باريس، من اهم أعماله: إسهاماته في تاريخ الفلسفة الاسلامية في الاندلس. بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص195.

(636) عميرة، الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، ص16.

(637) بوفيل، أي دبليو، الممالك الإسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عر الصحراء الكبرى، ترجمة: زاهر رياض، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة- 1968)، ص79.

(638) جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج2، ص10.

(639) عميرة، الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، ص7.

ومشاريع غير مخطط لها مسبقاً " **ان عمر لم تكن لديه مشاريع عن المغرب...** " [640]، طعناً منه بهذه الفتوحات ، وبانها ارتجالية وغير منظمة، وجاءت عن طريق الصدفة والحظ السعيد، وما توصل اليه هذا المستشرق وباقي المستشرقين الاخريين الذين تم ذكرهم كلهم قدموا آراء وفرضيات غير منطقية ليس لها صحة هدفها تكذيب الاحداث والوقائع التي خاضها العرب المسلمين لفتح بلاد المغرب.

3- دعوى الدوافع الاقتصادية للفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب:

أثار المستشرقين الغربيين دعوى الدافع الاقتصادي وراء الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب وهذه الدعوى هي اهم ما ركز عليه المستشرقون واجمعوا عليه فيها[641] ومن المستشرقين الذين تبنوا هذه الافكار:

مويس لومبارد (M.Lombard) فيذكر لنا " **ان البلاد الجديدة أو التي استعادت جدتها في الغرب الاسلامي، تنطوي على امكانيات اقتصادية جديدة، وعلى موارد بشرية زاخرة، وهي مصادر عظيمة للقوة، وهذه البلدان الجديدة ستلفت نظر الشرقيين الامويين ...** " [642].

أما المستشرق هنري تراس (Henri Terrasse) يرى ان غناء بلاد المغرب هو المبرر الذي دفع بالجيوش الاسلامية لفتح هذه البلاد " **ان تأثر شمال افريقيا وشبه الجزيرة الايبرية على أقل من تأثير امبراطورية الغرب القديمة بالغارات البربرية، الوندال، وقد تكون سمعة غناء اراضيها المبرر التي جذبت اليها الجيوش الاسلامية** " [643].

بينما ارجع المستشرق مارسيه (William Marcais) أن دوافع الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ، هو طمع ورغبة بما يمتلكه اهلها من ثروات واموال وخيرات، دفعت العرب المسلمين إلى اجتياح تلك البلاد الاكثر خصباً، من اجل السيطرة عليها حيث أنها خزان لا ينفذ تقريباً[644].

وأما المستشرق جوليان شارل اندري (Julien ch.A) [645] يجد ان دافع الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب يعود إلى طمع المسلمين في الغنائم وهو الدافع الرئيس للقيام بهذه **الفتوحات** " **وكان الطمع في الغنيمة هو الذي دفع العرب إلى القيام بهذه الغزوة، وقد اكتسبوا بفضل غزوات جنوب المزاق غنائم عظمى**" [646].

ويرى المستشرق جاك ريسلر (J.S.Restler) كذلك ان الحصول على الغنائم هو التفسير الوحيد لتلك الفتوحات " **المحاربين الصحراويين الاشداء الذين كانوا ينتظرون من المعارك وعود الحياة الاخرى والحصول الفوري على نصيب كبير من الغنائم في وقت واحد**" [647].

ويشير لنا المستشرق هيو كيندى (Hugh Kennedy) عن حجم الغنائم التي كان يحصل عليها المقاتلين الذين يشتركون في فتح مناطق بلاد المغرب مهولاً، ويذكر ارقام غير منطقية حول قسمة هذه الغنائم ما بين المقاتلين " **كان حجم الغنائم مهولاً، وكما كان يحدث غالباً ، خصصت المصادر العربية مساحة كبيرة لتخبرنا عن حجم المغانم وكيفية تقسيمها تساوي ما خصصته**

---

[640] المصدر نفسه، ص19.

[641] دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد، واخرون، دار الشعب، (القاهرة- د.ت)، ص314؛ الفرد بل ، الفرق الإسلامية ومناهجهم اللغوية، ط1، دار الملاحي، (الاردن – 1988)، ص94.

[642] موريس لمبارد، الاسلام في مجده الاول من القرن 2 إلى القرن 5هـ (8-11م)، ترجمة: اسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الافاق الجديدة، (بلا- 1990)، ص80.

[643] عميرة، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ص9.

[644] المصدر نفسه، ص12- 13.

[645] مستشرق فرنسي، من أساتذة جامعة السوربون في بارس سنة 1931، من أهم آثاره قد نشرت في المجلات المختلفة منها: طبيب ومترجم وأستاذ للعربية سنة 1924، والخلافة والعالم الاسلامي سنة 1926. ينظر العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، بيروت، د.ت، ج1، ص242.

[646] جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ج2، ص17.

[647] جاك رسلي، الحضارة العربية، تعريب: خليل احمد خليل، ط1، منشورات عويدات، (بيروت- 1993)، ص46 وما بعدها.

للحديث عن بقية الحملة عموماً، فعلى سبيل المثال تلقى الفرسان ثلاثة الاف دينار ذهباً، الف وخمسمائة للحصان، والف وخمسمائة للرجل، اما الجنود المشاة فاخذ كل منهم الف وخمسمائة دينار ذهبي" [(648)].

إن ما جاء به المستشرقين وإدعائهم بأن الدافع الاقتصادي هو السبب وراء الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب لا يمت للواقع بصلة، إذ لم يكن هدف العرب المسلمين ضم هذه البلاد إلى سلطة الدولة العربية الإسلامية، بقصد سلب اموال الاهالي، أو الاستيلاء والتسلط على ممتلكاتهم أو استغلال مواردهم الطبيعية وخيراتهم وثرواتهم، بل كان الدافع الاول والاخير لهذه الفتوحات هو تحقيق فريضة الجهاد، وحمل الدعوة ونشر الدين الاسلامي بين جموع البربر في كافة انحاء بلاد المغرب الثلاثة (الادنى- الاوسط- الاقصى)، وما ذكره هؤلاء المستشرقين هو تزيف للحقائق وتشويهها لصورة هذه الفتوحات بالطعن وتكذيب للحقائق التي تتعلق بهذا الجانب.

الخاتمــة

1- ان كل ما صدر من المستشرقين من آراء وطروحات حول الفتح الاسلامي لبلاد المغرب هي آراء خاطئة وغير دقيقة.
2- لم يعتمدوا المستشرقين في تفسير الأحداث التاريخية الخاصة بالفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب على المصادر التاريخية الصحيحة وهي كثيرة، ولم يخضعوها إلى النقد، ولكنهم قاموا في شرحها وتفسيرها وتحليلها، وفقاً لرغباتهم واغراضهم الشخصية واهوائهم الحاقدة على الاسلام، ولا تعكس حقيقة ووقائع تلك الفتوحات.
3- تباينت آراء المستشرقين حول دوافع الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، فعزوها إلى أسباب دينية، ودوافع سياسية توسعية بينما عزاها اخرون إلى دوافع اقتصادية، وهذه الدعوى أهم ما ركز عليه المستشرقين واجمعوا عليها.
4- كانت دوافع فتح المسلمين لبلاد المغرب هو من اجل نشر الدين الاسلامي بين قبائل البربر، وليس كما يعتقد البعض من المستشرقين أنهم قدموا من أجل الغنائم والسبي.

(648) هيو كيندى، الفتوح العربية الكبرى (كيف غير انتشار الاسلام العالم الذي نعيش فيه)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط1، (القاهرة- 2008)، ص295.